الحَدِيثُ التَّاسِعُ والثَّلاثُونَ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». [حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا](١).

هَذِهِ بُشْرَى للمُؤْمِنِ، فَقَوْلُهُ: «**إِنَّ اللهَ تجَاوَزَ لي عَنْ أُمَّتِي**» يَعْنِي: عَفَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ «**الخَطَأَ**» إِذَا أَخْطَأَ المُسْلِمُ وَعَمِلَ مَا لَا يَلِيقُ، وَكَانَ خَطَأً غَيْرَ مُتَعَمَّدٍ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ،واللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَفَا عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «**وَالنِّسْيَانَ**» إِذَا نَسِيَ وَتَرَكَ الطَّاعَةَ أَوْ تَرَكَ شَيْئًا نِسْيَانًا لَا تَعَمُّدًا، أَوْ فَعَلَ شَيْئًا نَاسِيًا لَا تَعَمُّدًا لَا يُؤَاخِذُهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، لَكِنَّ الفَرْضَ لَا يَسْقُطُ بِالنِّسْيَانِ، فَيَأْتِي بِهِ قَضَاءً.

ثُمَّ قَالَ: «**وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» المُكْرَهُ عَلَى فِعْلِ السَّيِّئَةِ لَا يُؤَاخَذُ؛ لِأَنَّهُ مَسْلُوبُ الإِرَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النَّحل: ١٠٦]، فَإِذَا أُكْرِهَ الإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ وَهُوَ لَمْ يَقْصِدْهُ فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّه لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَإِنَّمَا هُوَ مجْبَرٌ مَسْلُوبُ الإِرَادَةِ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، لَوْ شَاءَ اللهُ لَعَذَّبَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٦).

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى خَطَرَاتِ النُّفُوسِ، وَخَطَرَاتِ القُلُوبِ، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْتَكُونَ، وَقَالُوا: كُلِّفْنَا مِنَ العَمَلِ مَا لَا نُطِيقُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**»(١)، فَقَالُوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾، واسْتَسْلَمُوا، وَآمَنُوا بِاللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَمَا آمَنُوا بِهَذَا واسْتَسْلَمُوا وَلَمْ يَعْتَرِضُوا، قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ وَنَسَخَ الآيَةَ التِي قَبْلَهَا: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤]، نَسَخَ اللهُ ذَلِكَ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، قَالَ اللهُ: «**قَدْ فَعَلْتُ**» فاسْتَجَابَ اللهُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ مَنًّا مِنْهُ وَكَرَمًا، فَلَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ العِبَادَ، فَقَدْ اخْتَبَرَهُمْ بِالآيَةِ الأُولَى فَلَمَّا اسْتَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِهَا حِينَذَاكَ خَفَّفَ عَنْهُمْ، واسْتَجَابَ دُعَاءَهُمْ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَالحَاصِلُ: أَنَّ هَذَا شَاهِدٌ للحَدِيثِ: «إِنَّ اللهَ تجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ» ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ اللهُ: «قَدْ فَعَلْتُ» وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَقُولُ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأَحْزَاب: ٥]، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّـهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِالخَطَأ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِالنِّسْيَانِ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِالإِكْرَاهِ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا كَلَّفَ اللهُ بِهِ الأُمَمَ السَّابِقَةَ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ رَحِمَهَا اللهُ وَخَفَّفَ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ أَهْلُ الإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَدَمُ الاعْتِرَاضِ عَلَى اللَّـهِ، فَاليَهُودُ لَـمَّا قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا شَدَّدَ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ الأُمَّةُ لَـمَّا قَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* * *